المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 04-02-2006
الصفحـات : 17
العـــدد : 15627
المسلسل : 126

قراءة في جولة خادم الحرمين الشريفين الآسيوية

البعد الإسلامي شكل محورًا أساسياً في الزيارات الأربع

جمع المليك للهند وباكستان

حمل رسالة سعودية هامة

الجولة عكست رغبة المملكة

في الاستفادة من تجارب تلك الدول

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 04-02-2006 العـــدد : 15627
الصفحـات : 17 المسلسل : 126

قراءة

إبراهيم عباس

تعتبر جولة خادم الحرمين الشريفين الآسيوية - دون أدنى مبالغة - إحدى أهم وأبرز وأنجح الجولات (الدولية) التي شهدها العالم منذ مطلع هذا القرن في مجال تنمية التعاون وتعزيز أواصر الصداقة على مستوى العلاقات الدولية من حيث التوقيت والإعداد والتخطيط والأهداف المتوخاة منها والنتائج التي حققتها . وليس من قبيل المبالغة القول إن شخصية خادم الحرمين الشريفين والدولة التي يمثلها لعبتا دورًا هامًا في إضفاء تلك الأهمية الخاصة على تلك الجولة بمحطاتها الأربع التي شملت الصين والهند وماليزيا وباكستان والتي أمكن الوقوف عليها وترجمتها من خلال الأصداء التي خلفتها وردود الفعل الدولية التي تخللتها .

سمات مميزة ودلالات هامة

ولابد وأن يكون مرافقة (وفد مدني) للمليك في هذه الجولة التاريخية ضمن الوفد الكبير المرافق إحدى السمات البارزة التي ميزتها كونها أعطت تلك الزيارة زخمًا كبيرًا بما انطوت عليه من معان ودلالات . ولم يكن ليخفى على أحد أن أحد أهم أهداف زيارتي المليك للصين والهند اللتين تعتمدا على نسبة كبيرة في نموهما الاقتصادي المتصاعد على النفط السعودي - هو طمأنة العملاقين الآسيويين إلى حرص المملكة على توفير وتأمين هذه الاحتياجات إلى جانب الحرص أيضًا على أن لا تتجاوز الأسعار المستويات المعقولة وهو ما اتضح عشية الجولة من خلال الحديث الذي أدلى به خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز لقناة تلفزيون "إن دي تي في" الهندية الذي أعرب فيه عن استعداد المملكة تلبية احتياجات الهند (وغير الهند) من الطاقة وعن تفضيل المملكة أن تنخفض أسعار النفط "لأن ارتفاعها ليس من مصلحة الدول النامية" .

وقد أمكن للمراقب الوقوف على أكثر من قاسم مشترك في الزيارات الأربع يأتي على رأسها أن تلك الدول رغم تباياتها العرقية والعقدية والسياسية تشترك في كونها دولاً ذات كثافة سكانية عالية تمثل قرابة نصف سكان العالم وتضم أكثر من ثلث مسلمي العالم إلى جانب أنها - وبالرغم من تصنيفها كدول نامية - تمثل اقتصاديات ناشئة متصاعدة ودرجة متميزة من التقدم في المجال الصناعي والتجاري والتقني . كما شكلت مجمل الأحداث والتطورات على الساحتين الإقليمية والدولية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية والوضع في العراق والملف النووي الإيراني قاسمًا مشتركا آخر في مباحثات المليك مع قادة وزعماء تلك الدول إلى جانب ما أسفرت عنه تلك الزيارات من توقيع العديد من الاتفاقيات الثنائية في اتجاه توسيع آفاق الشراكة الاستراتجية بين المملكة وتلك الدول ليس فقط في مجال الطاقة والتعاون الأمني والتقني والتعليمي وإنما أيضًا على صعيد إلغاء الازدواج الضريبي الذي من شأنه زيادة حجم الاستثمارات المتبادلة وتصحيح الاختلال في ميزان التبادل التجاري وغير ذلك من اتفاقيات التعاون التي تدفع جميعها في اتجاه ترسيخ وتعميق أواصر الصداقة والتعاون بين المملكة وتلك الدول .

وقد شكل البعد الإسلامي في زيارتي الهند والصين أهمية خاصة تمثلت في حرص المليك المفدى على لقاء ممثلين عن الجاليتين الإسلاميتين في هاتين الدولتين والتحدث والإصغاء إليهم باهتمام وهو ما اتضح في استقباله الثلاثاء وفدًا من الجمعية الإسلامية الصينية ومعهد الدراسات الإسلامية في الصين وتوصيته لهم بالمحافظة على دينهم

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 04-02-2006 العـــدد : 15627
الصفحـات : 17 المسلسل : 126

.. والرئيس الهندي

وعقيدتهم واحترامهم لدولتهم وزيارته لجامعة الملية الإسلامية التي منحته الدكتوراة الفخرية تقديرًا لدوره - حفظه الله - في خدمة القضايا الإسلامية . وعبرت زيارة ماليزيا عن رغبة المملكة في الاستفادة من التجربة الاقتصادية الماليزية وهو ما تمثل في كلمة خادم الحرمين خلال حفل العشاء الرسمي الذي أقامه على شرفه ملك ماليزيا توانكو سيد سراج الدين بوترا جمال الليل بأن ماليزيا تجربة رائدة استطاعت التوفيق بين ثوابت الإسلام ومتطلبات العصر ونموذجًا للتنمية الاقتصادية الناجحة . كما عبرت زيارة المليك لكل من ماليزيا وباكستان عن رغبة المملكة في تفعيل قرارات القمة الإسلامية الاستثنائية التي انعقدت مؤخرًا في رحاب مكة المكرمة من أجل رفعة الإسلام والمسلمين وفق رؤية واضحة تحقق تطلعات الأمة الإسلامية .

ترحيب غير عادي

أما السمة الأخرى البارزة التي ميزت تلك الجولة فتمثلت في الترحيب الرسمي والشعبي غير العادي للمليك الذي لقيه في تلك الدول . حيث اتخذت مظاهر الترحيب والتقدير على الصعيدين الرسمي والشعبي أكثر من مظهر وصل إلى ذروته في تسلمه - حفظه الله - الدكتوراة الفخرية من الهند وماليزيا ومنحه وسام الدفاع عن الإسلام من ماليزيا وأعلى وسام في جمهورية باكستان الإسلامية وهو وسام رمز باكستان وفي حفلات الاستقبال والتكريم التي أقيمت له في الصين والهند وماليزيا . وقد وصلت تلك الحفاوة إلى ذروتها في محطة باكستان الأربعاء الماضي حيث كان الرئيس برويز مشرف على رأس مستقبليه - حفظه الله - هو ورئيس الوزراء شوكت عزيز وحيث اصطف آلاف الباكستانيين على طول الطريق المؤدي إلى مقر إقامته ملوحين بصوره وبالأعلام السعودية والباكستانية .

ولا شك أن جمع المليك للهند وباكستان في جولته عكس رسالة سعودية هامة مفادها تطلع الرياض نحو تقريب وجهات النظر بين نيودلهي وإسلام أباد فيما يتعلق بمشكلة كشمير من خلال حل تلك المشكلة سلمًا . وقد حققت زيارة البلدين الهدف منها من خلال إعلان الهند عن عدم ممانعتها بإعطاء كشمير حكمًا ذاتيًا ضمن الهند ولعل أحد أبرز مؤشرات نجاح زيارة المليك للهند صدور إعلان نيودلهي في ختام تلك الزيارة الذي عكس حرص المملكة على كسب تأييد الهند ودعمها لقضايا المنطقة وفي مقدمتها قضية السلام وأهمية حل تلك القضايا ضمانًا لأمن واستقرار كافة دول المنطقة من خلال ما تضمنه الإعلان من اتفاق البلدين على تكثيف وتنسيق التعاون الثنائي والإقليمي والدولي لمكافحة الإرهاب وتحقيق المقترحات الخاصة بإبرام الاتفاقية الشاملة حول الإرهاب الدولي المطروحة أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة وإنشاء مركز دولي لمكافحة الإرهاب الذي سبق وأن أوصى به المؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب إلى جانب الترحيب بالحوار المستمر بين الهند وباكستان والتأكيد على أهمية مبادرة بيروت العربية للسلام وخريطة الطريق والأمل في أن يفتح العراق صفحة جديدة في تاريخه لتحقق له أمنه ووحدته واستقراره وسلامته الإقليمية وازدهاره والحفاظ على استقلاله وسيادته .

خط الوسطية والاعتدال

عكست خطابات المليك وتصريحاته التي أدلى بها أثناء الجولة خط التوازن والاعتدال والوسطية الذي تلتزم به الرياض في تعاملاتها وعلاقاتها الدولية ويتجلى بشكل خاص ذلك في الكلمة

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 04-02-2006 العـــدد : 15627
الصفحـات : 17 المسلسل : 126

التي ألقاها - حفظه الله - لدى تسلمه الدكتوراة الفخرية من رئيس جامعة الملية الإسلامية بأن على الجامعات الإسلامية مسؤولية كبرى في تبيين حقائق الدين الإسلامي الحنيف وما ينطوي عليه من تسامح وعدل ووسطية ضمن خطاب عصري مستنير بعيد عن المهاترات العقيمة .كما عكست رغبة المملكة في توسيع قاعدة انطلاقتها الاقتصادية بالاستفادة من تجارب تلك الدول والنجاح الملفت الذي حققته في هذا المجال وهو ما تمثل في الاتفاقيات الثنائية التي تم توقيعها خلال الزيارة والتي شكل التعاون الاقتصادي والتجاري النصيب الأكبر منها . ويمكن القول - استنادا إلى كل ما سبق - إن هذه الجولة الآسيوية الموفقة للمليك المفدى نجحت في توفير أجواء الدفء في علاقات المملكة بدائرتها الآسيوية مع أربع دول من أبرز دول القارة في النمو الاقتصادي الذي تمكنت من إحرازه من خلال تحقيق المعادلة بين نموها السكاني ونموها الاقتصادي ضمن خط متواز وفي تشابه تجاربها الاقتصادية الناجحة على صعيد التحول من مجتمعات زراعية تعتمد على المصادر الأولية إلى مجتمعات صناعية تعتمد على العنصر البشري في تطوير برامجها التنموية ودون أن يترك ذلك تأثيرات سلبية على خططها في مجال إنتاج الحبوب وبما جعلها مكتفية ذاتيًا في هذا المجال رغم إنها تضم قرابة نصف سكان العالم .